سلطان

تأليف: دينا عفيفي
رسم: عز الدين أيمن

قصة: سُلطان
تأليف: دينا عفيفي
رسم: عز الدين أيمن

سُلطان

أخذت روضة تجري بأقصى سرعة لا يوقفها شيء. لم تعتد التأخر على صديقتها أروى كل هذا التأخير، لذلك فهي على عجلة من أمرها. تريد أن تلحق بها قبل أن تمل وتقرر العودة إلى منزلها. هما صديقتان منذ الطفولة، كانتا مع بعضهما البعض في المدرسة منذ مرحلة الروضة، وها هما الآن في المرحلة الإعدادية وما زالت الصداقة بينهما كما هي، لدرجة أنهما تتقابلان كل يوم تقريبا في العطلة الصيفية، مرة في منزل روضة، والمرة التي تليها عند أروى، ومرة ثالثة في الحديقة التي تفصل بين بيتهما. وها هي روضة تتوجه إلى الحديقة بكل سرعتها حتى تتمكن من اللحاق بأروى.

وصلت روضة إلى بوابة الحديقة، توقفت محاولة أن تلتقط أنفاسها وكانت تلهث بشدة بعد هذا المجهود الذي قامت به. دخلت الحديقة وأخذت تبحث بعينيها عن أروى في كل أنحاء الحديقة. ظنت لوهلة أن صديقتها قررت العودة للمنزل بسبب تأخرها عليها، لكنها وجدتها أخيرًا تجلس بمفردها على أحد المقاعد في الحديقة. توجهت لها بسرعة معتذرة عن تأخيرها، قائلة:

- أروى سامحيني على هذا التأخير. أعتذر بشدة

أشارت أروى بيدها إلى الساعة بما معناه أن روضة تأخرت كثيرًا فكررت أسفها. ردت عليها أروى قائلة:

- لا عليكِ، لكن أنا لم أعتد أن تتأخري كل هذا الوقت، فيمَ التأخير؟ هل كل شيء على ما يرام؟

-نعم، نعم، لا تقلقي. كلنا بخير، فقط قطي كان يلعب معي ولا يريدني أن أخرج. ظل متعلقًا بي لدرجة أنه عطلني عن النزول إليكِ اعذريني

-أتدرين يا روضة، أنا أحيانًا أشعر بالغيرة من "سلطان"، أحيانا أشعر أنه أكثر مخلوق تحبينه على وجه هذه الأرض

-أنا فعلًا أحبه جدًا. أتدرين شيئًا، صحيح أنه لا يتكلم لكنه في أحيانٍ كثيرة ورغم شقاوته ينظر له بعينيه وكأنه يتحدث معي. عيناه مؤثرتان جدًا وتقول لي الكثير من الكلام

قررت أروى أن تسامح روضة على التأخير، وواصلتا اللقاء داخل الحديقة وأخذت كل منهما تحدث صديقتها عن كل أخبارها، عما تفعل في المنزل وعن وقت الفراغ خلال العطلة الصيفية الحالية وعن الأخوة وعن أحوال باقي الأصدقاء. تتحدث الصديقتان في كل شيء. تتبادلان أيضًا وصفات الطعام الشهية اللذيذة وتحكي كل واحدة منهما الوصفة التي جربت صنعها بالفعل وهل نجحت أم لا، وماذا كان رد فعل أفراد أسرة كل منهما. وتحدثت أيضا عن الكتب التي قررن قراءتها وتناقشتا فيها وهل كانت تستحق القراءة ومدى

الاستفادة التي حصلت كل منهما عليها من تلك الكتب. وتحدث أروى صديقتها عن الحُلي الجميلة التي تجيد صنعها.

حان وقت العودة إلى المنزل. ودعت الفتاتان بعضهما بعضًا. عادت روضة إلى منزلها الذي لا يبعد كثيرًا عن الحديقة، لكن رحلة العودة لم تكن مرهقة مثل رحلة الذهاب بالطبع، فلم تكن روضة متعجلة في أي شيء، بل كانت تمشي ببطء وتحاول الاستمتاع بكل ما هو موجود في الشارع من طبيعة وزهور وأشجار. وكانت تلتقط أيضًا بعض الصور في طريقها لتلك الزهور والأشجار. وعادت كذلك أروى إلى منزلها، عادت إلى أسرتها: أمها وأبوها وشقيقتاها الأصغر.

استمرت المقابلات بين الصديقتين خلال العطلة الصيفية بشكل شبه يومي، ربما كانت عطلة نهاية الأسبوع هي الوقت الذي تقضي فيه كل منهما الوقت مع أفراد الأسرة. لم يكن هناك ما يعكر صفو هذه الصداقة منذ سنوات طويلة، إلى أن حدثت ما لم يكن في الحسبان، حدث الأمر الذي لم يخطر على بال أي من الفتاتين، روضة وأروى. إنه القدر الذي قرر أن تفترق الصديقتان بعد هذه الصداقة التي استمرت هذا الزمن الطويل.

قرر أبو روضة أن عليهما السفر إلى دولة أوروبية.. ألمانيا بالتحديد حتى يحصل على شهادة الدكتوراة، وهو يريد أن يصطحب كل أفراد أسرته إلى هناك. إذًا، فالقرار هو السفر لعدد من السنين لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى. عندما أخبرت روضة صديقتها أروى بهذا القرار شعرت بالصدمة والألم. لم تكن تفكر قبل ذلك في هذا الاحتمال، لم تفكر في أن عليها أن تفارق صديقتها التي لم تعرف غيرها تقريبًا طوال حياتها. كانت روضة بالنسبة لها هي الصديقة والأخت التي تفهمها حتى أكثر مما تفهم هي نفسها. روضة أيضًا شعرت بألم كبير، كيف يمكن أن تترك كل شيء هنا في بلدها ثم تسافر إلى بلدٍ غريبٍ لا تعرف عنه شيئًا ولا تجيد لغته تماما. تعرف هي قليلًا من الألمانية، لكن ليست هذه هي القصة، القصة أنها ستترك أروى وتسافر.

بقيت مشكلة واحدة، سيسافر الجميع، الأب والأم وروضة وأخوها الأكبر وأختها الصغرى، وليس هناك مكان للقط "سلطان". إجراءات سفر الحيوانات الأليفة معقدة جدًا ولم يوافق الأب على خوض هذه الإجراءات، فقد كان يكفيه إجراءات سفره هو وباقي أفراد الأسرة وكل الأوراق المطلوبة منهم. كانت هناك إجراءات كثيرة ومطولة بالفعل لدرجة جعلته غير مستعد للقيام بالمزيد من الإجراءات من أجل "سلطان". حاولت روضة إقناع أبيها لكن كل محاولاتها لم تفلح على الإطلاق.

فكرت كثيرا روضة في الحل، تناقشت مع أمها التي طرحت فكرة لا بأس بها، قالت لها الأم:

- ما رأيك في أروى؟ ألا يمكن أن ترعى هي "سلطان" في غيابنا؟

- لا أعرف يا أمي، لم أسألها عن مثل هذا الأمر قبل ذلك

- اسأليها يا روضة، فربما يكون عند أروى الحل

توجهت روضة إلى منزل أروى في موعد المقابلة المعتاد بينهما، جلستا سويًا وتحدثتا طويلًا في كل شيء كالمعتاد، لكن أروى كان هناك أمر ما قد تغير بداخلها. تشعر هي بالحزن العميق من فراق روضة، لكنها لم ترد أن تشكو لها من ذلك حتى لا تحزنها. سألتها روضة:

- هل يمكن أن أطلب منكِ طلبًا

- بالطبع، اطلبي أي شيء تريدين

- أنتِ تعلمين أن سفرنا لم يتبق عليه سوى أسبوعين، ولدينا مشكلة كبيرة. لن يمكننا اصطحاب "سلطان" معنا لأن إجراءات سفر الحيوانات الأليفة معقدة جدًا ووالدي غير موافق على القيام بهذه الإجراءات، هل يمكنك أن ترعيه ونحن مسافرون؟

- نعم بالطبع، بكل سرور. صحيح أنني أغار منه، لا أنا أمزح بالطبع، لكني احبه جدًا جدًا. إنه قط جميل ولطيف. يكفي أنه شيء يخصك أنتِ. ستسافرين ولكن سيبقى معي جزء مهم جدًا يخصك يا روضة. طبعا يمكنني هذا بكل سرور، لكني عليّ أن استأذن والديّ أولا. أعرف أنهما لن يعترضا على هذا الحل لكن سوف أستأذنهما

- نعم، بالطبع. لابد أن تستأذنينهما أولًا

استأذنت أروى والديها لرعاية القط "سلطان". لكن كانت هناك نقطة تنساها أروى، إنها الظروف المادية لأسرتهما التي ربما تمنع رعاية القط. والداها طيبا القلب لكنهما كانا يخشيان أن يجدا صعوبة في توفير تكلفة رعايته من طعام وشراب ورمل القطط وكل مستلزماته، لكنهما قررا في نهاية الأمر الموافقة على رعايته، أولا لأنهما يعرفان مدى حب أروى لصديقتها وكل ما يتعلق بها، وثانيا لأنهما طيبا القلب جدًا. قررا الموافقة وقررا التوكل على الله وعدم المبالغة في القلق فيما يخص القط ومصاريفه.

وحانت لحظة السفر. كانت أسرة أروى تستعد للسفر وتحاول شراء كل ما ينقصها. كان الأب والأم يعد كل منهما قائمة بها كل الاحتياجات، وكلما توفرت إحدى هذه الاحتياجات رسما أمامها علامة صح كدليل على أنها أصبحت متوفرة. كل شيء أصبح جاهزًا إلا شيء واحد. إنه "سلطان". توجهت روضة إلى منزل أروى ومعها كل مستلزمات سلطان التي ما زالت متبقية عندها. أعطتها كل المستلزمات التي سوف تكفيه لفترة من الوقت. بكت روضة بكاء شديدًا على فراق الصديقين، فراق صديقة عمرها "أروى" وفراق قطها الغالي "سلطان". سلمت على أروى السلام الأخير وحملت "سلطانًا" وحضنته وقبلته والدموع تنهمر من عينيها.

عادت روضة إلى المنزل لتشارك الأسرة في استعدادات السفر. كان السفر في اليوم التالي صباحًا، ولم ترد أن ترى أروى أو "سلطان" مرة أخرى صباحًا لأنها تشعر بما يكفي من الألم. حزم أفراد الأسرة كل

الحقائب وتوجهوا إلى المطار واستغرقت الرحلة ما يقرب من الأربع ساعات. وصلت الأسرة إلى المطار وكان في استقبالهما صديق الوالد الذي ساعده في الكثير من الإجراءات. اصطحبهما إلى المسكن الجديد الذي سيسكنون فيه في أحد أحياء برلين .

حاول أفراد أسرة روضة الاستقرار والتأقلم مع البلد الجديد ومع المجتمع الجديد الذي لا يجيدون لغته بشكل كامل لكنهم كانوا يجتهدون. كل ما كان يشغل روضة "سلطان" و"أروى". كانت كثيرًا ما تتصل بأروى للاطمئنان عليها وعلى "سلطان". كان يسعدها كثيرًا أن تراهما هما الاثنان عبر شاشة الهاتف من خلال تطبيقات الاتصال المختلفة التي تتيح الاتصال عبر "الفيديو".

استمرت الحياة بحلوها ومرها في ألمانيا، حلوها لأن البلد جميل ونظيف وكل شيء فيه يسير بنظام، أما مصدر المرارة فهو اختلاف الثقافة والدين واللغة وكل شيء تقريبا. شعرت أفراد أسرة روضة بأنهم غير قادرين تمامًا على التكيف مع الحياة هناك، في بعض الأحيان يجدون ودًا من أهل البلد، وفي أحيان أخرى يجدون معاملة غير طيبة منهم، لكن بأي حال حاولوا قدر استطاعتهم التكيف والتأقلم.

أما هناك، حيث يوجد الحبيبان، أروى و"سلطان"، كانت الصديقة الوفية أروى ترعى "سلطانا" كما وعدت صديقتها روضة. كان القط كثير النوم. لاحظت أنه ينام طوال اليوم تقريبا. عندما كانت أروى تزور روضة في منزلها كانت ترى "سلطانا" وهو نشيطٌ لا يتوقف عن الحركة. رأت أنه يحب اللعب ويحب القفز والجري حتى بلا سبب محدد. لكن منذ مجيء "سلطان" إلى بيت أروى وهو قليل الحركة، كثير النوم، قليل الطعام. "ما هذا يا سلطان؟ أحزين أنت على فراق روضة؟ ربما." هكذا حدثت أروى نفسها.

كان أبو أروى يعمل في إحدى الشركات الخاصة، لكن في يوم من الأيام عاد الأب من العمل وبدا عليه الحزن الشديد. تفاجأت الأم وتفاجأت أروى عندما علمت أن الشركة قررت الاستغناء عن خدمات "ممدوح". سمعت أروى الأم والأب وهما يتناقشان في جميع أحوال الأسرة، وكيف يمكن تدبير النفقات إلى أن يتمكن الأب من العثور على وظيفة أخرى، بما أن الأم لا تعمل. سمعت أروى أباها وهو يتحدث عن "سلطان" مقترحا التخلي عنه وعدم الاستمرار في رعايته. شعرت أروى برغبة شديدة في البكاء. لا يمكنها أبدًا التخلي عن "سلطان"، لقد وعدت روضة أنها سترعاه وأنها لن تتخلى عنه أبدًا.

فكرت أروى كيف يمكنها أن تفي بوعدها لروضة وفي الوقت ذاته عدم تحميل الأسرة تكاليف رعاية القط. أخذت أولا تحسب التكاليف الشهرية من طعام ورمل وطبيب وكل شيء. قالت لنفسها بما أن زيارة الطبيب لا تحدث إلا كل عام، فمن الممكن أن تتعلم هي قص أظافر "سلطان" بدلا من الاستعانة بالعيادة البيطرية. حاولت أيضًا أن تجد وسيلة تتمكن بها أن تدفع هي تكاليف رعايته حتى لا يتحملها أبوها وحتى لا ينتهي به الحال في الشارع.

"لا لا، لا يمكن أن ألقي بسلطان في الشارع أبدًا. هو حبيب روضة، لا يمكنني أن أفعل هذا به أبدًا مهما كان."

تجيد أروى كثيرًا الأشغال اليدوية المميزة. لا تكتفي أروى بصنع الحُلي التي تجيد باقي الفتيات صنعها، وإنما تحب صنع كل ما هو متميز، لذلك فهي تجيد صنع الحُلي من كل الخامات، الخرز مع استخدام الغرز المختلفة التي تجعل القطع تبدو كقطعٍ فنية عالية القيمة رغم بساطة تكلفتها، أو الحلقات المعدنية، أو الكروشيه، أو الخيوط أو المشغولات المطرزة، هي تجيد ذلك كله، لذلك قررت أن تشترك في المعارض المختلفة، أو ربما يمكنها أن تبيع بعض المنتجات عبر الانترنت بحيث تحصل على المال الكافي لتلبية احتياجات سلطان دون تحميل أبيها أي تكاليف.

تحدثت أروى مع أبيها ووعدته أن "سلطانا" لن يكلفه شيء وأنها مستعدة لأن تتحمل كل التكلفة قدر استطاعتها. تناقشا سويًا وسألها "ممدوح" عن مصدر الدخل الذي ستعتمد عليه، وحكت له خطتها التي رسمتها. شعر الأب بالفخر تجاه ابنته، أولًا لأنها تمكنت من إيجاد حل للمشكلة بمفردها، ثانيًا لأنها ستتحمل المسؤولية، ثالثا لأنها قررت الوفاء بوعدها لصديقتها مهما كانت الظروف. لم يمانع "ممدوح" في كل ما قالته أروى وشجعها. قال لها إن بإمكانه توفير تكلفة الخامات التي ستعتمد عليها لصنع هذه الحُلي. طلب منها أيضًا أن تريه بعض المنتجات التي تصنعها وانبهر بجمال وجودة ما تصنعه ابنته.

بدأت أروى على الفور في تنفيذ خطتها بدعم من أبيها وأمها أيضًا، فهي تعرف جيدًا مدى حب أروى للأشغال اليدوية وتعرف جيدًا مدى إتقانها لما تصنعه. تعرف الأم بعض الصديقات في النادي الذي تتردد عليه الأسرة وسألتهن عن كيفية الاشتراك في المعرض الذي يقيمه النادي كل شهر. عرفت كل التفاصيل وقررت أن تساعد أروى بدفع ثمن الاشتراك في هذا المعرض. تحتاج مثل هذه المعارض إلى مجهود كبير استعدادًا له، لذلك واصلت أروى الليل بالنهار وهي تصنع قطع الحُلي. تستمد أفكارها من الطبيعة ومن التراث المصري.

اشترت أروى كل الخامات التي تحتاج إليها ورتبت أفكارها. ساعدتها "ندى"، أختها التي تصغرها بعامين، أما الأخت الأصغر فما زالت صغيرة على مثل هذه الأعمال التي تتطلب قدرًا كبيرًا من الدقة. طلبت أروى من ندى أن تساعدها في التقاط الخرز مثلا أو في اختيار الألوان أو تطريز بعض الأشكال، فكثيرًا ما كانت ندى تراقب أروى وهي تطرز وتصنع قطعها الجميلة وطلبت منها أن تعلمها بعض المهارات. واصلت الأختان العمل حتى حان موعد المعرض الشهري في النادي.

حجزت الأم مائدة العرض، واستعدت أروى بالتقاط بعض الصور للقطع التي نفذتها بالفعل وكانت الصور مبهرة. عرضت أروى هذه الصور على صفحة النادي على "فيسبوك" لتدعو الناس وتشجعهم على الشراء

من منتجاتها. كما فكرت في فكرة أخرى: فكرت في أن تقول إن القط "سلطان" هو من يحتاج المال وإن عائد بيع كل هذه المنتجات سيذهب لصالح "سلطان" حتى لا يُلقى في الشارع وحتى يظل في البيت. لم تتحدث أروى بالطبع عن التفاصيل أو تقل إن والدها فقد عمله لذلك فهي في حاجة إلى هذا المال، كل ما فعلته أنها حاولت إثارة تعاطف الأعضاء مع قضية "سلطان".

وجدت أروى تفاعلًا كبيرًا من الأعضاء مع صورة منتجاتها الجميلة ومع صور "سلطان" كذلك. توقعت أروى أن يكون هناك إقبالا كبيرًا من الأعضاء على منتجاتها وكان هذا بالضبط ما حدث. كانت المائدة التي تضم منتجات أروى هي المائدة التي لاقت أكبر إقبال. كانت العضوات يشاهدن المعروضات وكن يبدين دهشة كبيرة عندما يرين أن أروى ما زالت في سن صغيرة نسبيًا لأن المنتجات كانت حقًا رائعة. حققت أروى في ذلك اليوم نجاحًا مذهلًا وكانت والدتها إلى جوارها طوال اليوم. حان وقت العودة إلى المنزل، لكن قبل أن تعود قررت أن تشتري لسلطان الوجبة الشهية التي يحبها وتذكرت روضة وقالت لنفسها: "أنا على العهد يا صديقتي". ☺☺